﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ [الأنبياء:38]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

اسْتِهْزاءُ الكَفَرَةِ بِأهْلِ الإيمانِ

لمّا ذكرَ اللّه تَعالى في الآية السّابقة العجلَةَ ونَهى عَنْها؛ ذكرَ في هذه الآيةِ استمرارَ الكُفّار عليها ومُضيَّهم فيها، فقالَ مُبَيِّنًا استعجالَهم بالعذابِ عَلى وجْه الاستهزاءِ بأهلِ الإيمانِ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡوَعۡدُ﴾: (وعد) تدلُّ اشتقاقاتُها على تَرْجيَةٍ بقولٍ[2]، ومنه: الوَعْدُ والوَعيدُ، إلّا أنَّ الوَعدَ يكون بالخير والشّرِّ، كما قال اللّه تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾ [المائدة:9]، وقال سبحانه: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٢﴾ [الحج:72]، بخلاف الوعيدِ؛ فإنَّه لا يكون إلّا بالشّرِّ[3].

والوعدُ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ هو وعْدٌ بالشَّرِّ؛ إذِ المُراد به العَذابُ[4].

2) ﴿صَٰدِقِينَ﴾: (صدق) تَدُلُّ تصْريفاتُها على قُوَّةٍ في الشَّيْءِ قولًا كان أو غيرَه، ومِنْهُ قولُهم: هذا شيءٌ صَدْقٌ، أي: صلبٌ، ومِنْهُ سُمِّيَ الصِّدقُ – نقيضُ الكذِبِ – بذلك؛ لقوَّته في نفسِه[5].

والصّادِقُ: المُتَّصِفُ بالصِّدْقِ، والصِّدْقُ: هو إخبارٌ عَنِ المُخْبَر

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 421.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وعد).
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والواحديّ، التّفسير البسيط: 2/ 510.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 444.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صدق).

به على ما هو عليه في الواقعِ، ولا يكون محمودًا شَرْعًا إلّا مع العِلْمِ بأنَّهُ كذلك[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اسْتِعْجالُ الكُفّارِ بالعَذابِ اسْتِهْزاءً

في هذه الآيةِ يُبَيِّن اللّهُ تَعالى اسْتِعْجالَ الكُفّارِ بالعَذابِ اسْتِهْزاءً؛ فيَقولون عَلى وجْه الاسْتِهْزاءِ والسُّخريَّة: مَتى يَجيئُنا هَذا الذي تَعِدُنا به مِنَ العَذاب إنْ كُنْتَ - يا محمد ﷺ - وأتباعُك صادِقين فيما تَعِدونَنا به من ذَلِكَ؟[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ وصْلِ الآيَةِ بِما قَبْلَها:

اسْتِمْرارُ صُورِ العِنادِ والاسْتِهْزاءِ من الكفّار

قولُ اللّه تَعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ معطوفٌ على جُملَةِ: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾، بيانًا لِمَقالةٍ شنيعَةٍ أُخْرى مِن مَقالاتِ هَؤُلاءِ المُكَذِّبين في تَلَقّيهِم دعوةَ النَّبيِّ ﷺ عَلى وجه العِنادِ والاسْتِهْزاءِ[3].

وفي هَذا دليلٌ على إصْرارِ الكُفّار على الاسْتِهْزاءِ والسُّخْريَّة مِنَ الرَّسول ﷺ وأصحابِه.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِصيغَةِ المُضارِعِ ﴿وَيَقُولُونَ﴾:

اسْتِمرارُ سُخْريَةِ الكُفّارِ مِنْ أهْلِ الإيمانِ

عُبِّر بالفِعْلِ المُضارِع ﴿وَيَقُولُونَ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ دون الماضي (قالوا)؛ لِلإيماءِ إلى اسْتِمرارِ اسْتِهْزائِهم وسُخْريتهم من أهلِ الإيمانِ؛ إذْ إنَّ مَقالَتَهُم هذه ناشئَةٌ عَنِ الاستهزاءِ وصادِرَةٌ على وجْهِه، وازدادوا شَرًّا وضَلالًا باسْتِمرارِهم عليه، وكأنَّ التَّعبير بالفِعْلِ المُضارِع يُصَوِّر الحالَ التي كان عليها أهلُ الكُفْرِ في مكَّة من تَرْديدِ مَقولَتِهم في وجْه رَسولِ اللّه ﷺ وصحابته كُلَّما رأوْهُم يَقولون اسْتِهْزاءً: مَتى هذا الوعدُ.

---

(1) أبو البقاء الكفويّ، الكُلّيّات، ص556.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 444، ونخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 325.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 69.

ويُؤَكِّد هذا اختيارُ مادَّة القولِ في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾، حَيْثُ يَدُلُّ عَلى رَفْعِ أصْواتِهِم في كُلِّ مُناسبَةٍ وعندَ كُلِّ مَوْقِفٍ استعجالًا لِلعَذابِ مَتى هذا الوعدُ إن كنتُم صادِقينَ.

دِلالَةُ الاسْتِفهامِ في الآيَةِ:

تَهَكُّمُ الكُفّارِ بِاسْتِعْجالِ العَذابِ ناشِئٌ عَنْ يقينهم عَدَمَ وُقوعِهِ

الاستفهامُ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ هو استفهامٌ عَنْ وقْتِ مَجيءِ العذابِ الذي كان يَتَوَعَّدُهم به المُسْلِمون، وقد قالَ الكُفّار ذلكَ اسْتِعْجالًا لِمَجيئِه على وجْه التَّهَكُّم والاستهزاءِ والإنْكارِ، مَجازًا مُرْسلًا مُرَكَّبا، لا طَلَبًا لتَعْيين وقْته، والقَرينَةُ الدّالَّةُ عَلى ذلكَ حاليَّة، ويُقَوّيها قولُهم بَعْدُ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ وذلك لأنَّ المُشْركينَ كانوا جازِمينَ بعدَمِ حُصولِ هذا الوعْدِ[1].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِاسْمِ الإشارَةِ ﴿هَٰذَا﴾:

سُلوكُ الكُفّارِ مَسالِكَ مُتَنَوِّعَةً في اسْتِهْزائِهِم

في التَّعبير باسم الإشارةِ ﴿هَٰذَا﴾ مِن قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ دون (ذلك) الذي يكون للبعيد؛ للدّلالة على أنَّهُم يَقولونَ ذلكَ حينَ يَعِدُهُم الرَّسول ﷺ والمُسْلِمونَ معَهُ، وليسَ بَعْدَ زمَنِ القَوْلِ.

وفي التَّعبيرِ بِاسْمِ الإشارَةِ ﴿هَٰذَا﴾ دلالةٌ عَلى التَّحقير، أي: متى هذا الوعدُ الحقيرُ الذي تَتَوعَّدوننا به، وإنَّما كان ذلك تحقيرًا؛ لأنَّهم لم يكونوا يُصَدِّقونَ بِهِ، وإلا فهو عظيمٌ في نَفْسِهِ، ويجوزُ أن يكونَ ذلكَ تَعْظيمًا على وجه الاسْتِهْزاءِ والتَّهكُّم، فيكون فيه استعارَةٌ تهكُّميَّة.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالوَعْدِ:

حِلْمُ الله تَعالى يَقْتَضي إمهالَهُ العِبادَ

عَبَّر القرآنُ الكريمُ بالوَعْدِ على لسانِ المُشْركينَ في طلَبِ اسْتِعْجالِ العَذابِ دون التَّعبير بالعذابِ، فقال اللّهُ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 145، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 83، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 431، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 67، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 48، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 69.

﴿ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، وذلك إمّا من بابِ التَّهكُّم؛ لِعِلْمِهم بِعَدَم وُقوعِه؛ لأنَّ اللّهَ سُبحانَهُ يُمهِلُ ولا يُهْمِلُ، أو لأنَّ الوعدَ يُسْتَعْمَلُ في الخَير والشَّرِّ، والمرادُ إتيانُ الآياتِ مِنَ السّاعة ومُقَدِّماتها[1].

دِلالَةُ اللّامِ في ﴿ٱلۡوَعۡدُ﴾:

اللّام في ﴿ٱلۡوَعۡدُ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ للعَهْد، والمرادُ به ما توعَّدهم به القرآنُ الكريم مِن نَصْرِ رسولِه ﷺ وعذابِ الاستئصالِ الذي يَحُلُّ بالمُكَذِّبين المُعانِدين[2].

الكُفّارُ مُتَوَعَّدونَ بِعَذابِ الدُّنْيا والآخِرَةِ

ويجوز أن يُرادَ بالوعدِ يومُ القيامة[3]، بقرينةِ الآيَةِ بَعْدَها: ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾، فيكونُ المَقْصودُ ما يَحُلُّ بِهِم في الآخرةِ مِن عذابِ النّار.

ولا مانِعَ مِن الجَمعِ بينَ المَعْنَيين؛ لعَدَمِ التَّنافي بَيْنَهُما، وذلكَ لأنَّ الكُفّار مُتَوَعَّدون في الشَّرْعِ بعذابِ الدُّنيا وعذابِ الآخِرَةِ مَعًا.

بلاغَةُ مَوْقِعِ هذه الآيَةِ:

اسْتِعْجالُ العَذابِ مِنْ آثارِ العَجَلَةِ التي طُبِعَ عليها الإنْسانُ

جاءت هذه الآيةُ بعدَ الآيَةِ السّابقة للتَّأكيدِ عَلى مَضْمونِها وارْتِباطِها بِما بَعْدَها في تَرَقُّبِ المُسْلِمينَ الجوابَ عَن قَوْلِهِم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، وبيان ذلكَ أنَّه لمّا ذكَر اللّهُ تعالى أنَّ طَبْعَ الإنسانِ العجلةُ في قوله سُبْحانه: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾؛ أشارَ إلى فرْدٍ مِنَ الأفرادِ النّاشِئَةِ عَن هَذِه العَجَلَةِ، فذَكَرَ اسْتِعْجالَ الكفّار العذابَ الذي تُوُعِّدوا به، أو استعجالَ أهلِ الإيمان نَصْرَهم على الكُفّار وحلولَ العذابِ بِهِم[4].

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 5/ 84.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 69.
(3) ابن الجوزي، زاد المسير: 3/ 191.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 69.

دِلالَةُ الشَّرْطِ في ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

زيـادَةُ التَّهَكُّمِ والتَّكْذيبِ لِلعَذابِ المُتَوَعَّدِ بِهِ

في التَّعبيرِ بِالشَّرط في قولِ اللّه تَعالى حِكايةً لقولِ الكُفّار: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ زيادَةٌ في الاستهزاءِ والتَّهكُّم المُسْتَفادَيْنِ مِنَ الاستفهامِ في قوله قَبْلُ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، ففي الشَّرْطِ زيادةٌ في الإلهابِ والتَّهْييج تَكْذيبًا وإنْكارًا للعَذابِ الذي تُوُعِّدوا بِهِ.

دِلالَةُ تَعْليقِ الشَّرْطِ بِـ ﴿إِن﴾:

اتِّهامِ الكُفّارِ لأهْلِ الإيمانِ بالكذبِ

حرفُ الشَّرطِ ﴿إِن﴾ دالٌّ على الشَّكِّ، كما هو الأصلُ في دِلالَتِه، وعُلِّقَ الشَّرط به في قول اللّه ﷻ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ دون (إذا)؛ للدّلالة على نُدْرة الصِّدْقِ عِنْدَ أهلِ الإيمانِ في زَعْمِ هَؤلاءِ المُعانِدين، وأنَّ هذا الصِّدْقَ نادِرٌ غيرُ مجزومٍ بِوقوعِه، وهذا مِن أساليبِ الكُفّار في مُحاوَلَةِ النَّيْلِ مِن أهْلِ الإيمانِ بِطَعْنِهِم في أهَمِّ الصِّفات التي يَحْرِصُ عليها العربيُّ ولَو لَم يَكُنْ مُسْلِمًا؛ فكيفَ بالمُسْلِمِ الذي يَعْرِفُ أنَّ الكذِبَ حرامٌ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِفِعْلِ الكَوْنِ:

زيـادَةُ الإلْهابِ والتَّهْييجِ تَكْذيبًا

في التَّعبير بفِعْلِ الكَوْنِ ﴿كُنتُمْ﴾ مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ زيادةٌ في الإلهابِ والتَّهْييجِ لقَصْدِ التَّكذيب، فقولُه: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: عَريقينَ في وصف الصِّدْقِ جدًّا، بحيثُ تكونونَ قَدِ اتَّصفتُم به قبلُ واستمرَّ مَعَكُم حتّى صارَ طَبْعًا راسِخًا[1].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالتَّشْكيكِ في الصِّدْقِ دونَ التَّصْريحِ بِالكَذِبِ:

أهْلُ الإيمانِ هُم أهلُ الصِّدق

عبَّر القرآنُ الكريمُ عَن مَوْقِف المُشْرِكينَ في التَّشْكيكِ في صِدْقِ المُؤْمنينَ بِقَوْلِه حكايةً عَنْهُم: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ دون التَّعبيرِ بِضِدِّه وهُو الكَذِبُ، وهُو المُوافِقُ لِغَرَضِهم مِنَ الذَّمِّ، لَكِن لَمّا كانَ هَذا مِن

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 421.

بابِ الاتِّهام وليسَ مِن بابِ الحَقيقَةِ؛ جاءَ التَّعبيرُ مَبْنيًّا على الشَّكِّ، وفي هذا دِلالَةٌ عَلى أنَّ أهلَ الإيمانِ هُم أهْلُ الصِّدقِ.

دِلالَةُ التَّعبيرِ بِالجَمعِ في قولِهِ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ دونَ الإفْرادِ:

تَبْليغُ أهْلِ الإسْلامِ دَعْوَةَ رَسولِهِم عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ

جاءَ التَّعبيرُ القُرْآنيُّ بضَميرِ الجَماعَةِ في قولِهِ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، ولم يأتِ بِضَميرِ الإفرادِ، كما ورَدَ معَ بعضِ الأنبياءِ في نَحْوِ قولِه تَعالى: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف:70]؛ حيثُ جُعِلَ الخِطابُ للرَّسولِ وحدَهُ، كما في قومِ عادٍ معَ هودٍ، وفي قومِ نوحٍ، وقومِ صالِحٍ؛ فكلُّهم جَعَلوا الخِطابَ بصيغَةِ الإفرادِ؛ لأنَّ الرَّسولَ لِكُلِّ قومٍ من هذه الأقوامِ هو الذي يَعِدُهُم وحدَهُ، أمّا في آيةِ الأنبياءِ؛ فقد جاءَ التَّعبيرُ بضميرِ الجمعِ؛ لأنَّ المُسْلمينَ كانوا يُبَلِّغون ما أُرْسِلَ به رَسولُهُم، ويُعْلنونَهُ للكُفّارِ، وفي هذا دليلٌ عَلى قيامِ المُسْلِمينَ بِتَبْليغِ الدَّعوةِ، ولأجْلِ ذلكَ كانَ المُسْلِمونَ يَتَعَجَّلون وعيدَ المُشْرِكينَ[1].

دِلالَةُ حَذْفِ جَوابِ الشَّرْطِ:

طَيُّ ما دَلَّتِ القَرائِنُ عَلى تَعْيينِهِ اقْتِصادًا في اللَّفْظِ

جوابُ الشَّرطِ محذوفٌ؛ لِدِلالَةِ ما قَبْلَهُ عليهِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، وذلكَ أنَّ استعجالَهُم العذابَ، واستبطاءَهُم حُلولَهُ، وطَلَبَهُم إتيانَهُ في قوَّةِ التَّصريحِ به، والتَّقديرُ: (إن كُنْتُم صادِقين فلْيأتِنا هذا العذابُ بِسُرْعَةٍ)[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 69.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 67.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»